

هل السلطة الكوردية بريئة من الإعتداءات الإرهابية ضد منتقدي إدارتها ؟

أم إنه من صنع مخططها الخفي ؟

ايوب بارزاني. 2009/12/5

أصاب الكثيرون من أنصار الكلمة الحرّة في كردستان بالصدمة عند تعرض الصحفي الجريء ومحرر مجلة (جيهان) السيد [نه به ز گوران] لإعتداء جبان من طرف عصابة مسلحة وهو يترك مكتبه للعودة الى منزله . وكانت العصابة تنتظره لتنهال عليه بالضرب والشتم وسط مدينة (هه ولير) عاصمة إقليم كردستان، حيث مقرّ الإدارة الكوردية وبرلمانها ، وأجهزتها الحزبية الأمنية. وقد نشرت صورته على نطاق واسع، وعليها آثار الضرب الوحشي مما أثار نقمة شعبية عامة وسط المجتمع الكوردستاني وفي الخارج . وكانت الشبهات تحوم بقوة حول جهاز الأمن التابع لإبن رئيس حرك السيد مسرور. وهذه هي المرة الثانية التي يتعرض فيها الصحفي [گوران] الى الإعتداء. كان الإعتداء موضع نقد شديد من قبل الصحافة الكوردستانية المستقلة ومن منظمات دولية تهتم بحرية العمل الصحفي في العالم.

والجدير بالذكر هناك منذ عقود توجه شديد من قيادة الحزبين الحاكمين نحو تحزيب جميع أوجه الحياة في كردستان على شاكلة حزب البعث تحت حكم صدام حسين الإرهابي ونظامه الشمولي. وهذا يعني لامكان للرأي الآخر في كردستان.

في 2009/11/17 وبعد تناول طعام الغداء، تلقيت مكالمة هاتفية وذلك بحوالي عشرين دقيقة من تعرض الناشط السياسي [بروسكه أسعد ميرگه سوري] الى إعتداء مماثل لما تعرض اليه الصحفي [گوران] في شهر تشرين الأول/أكتوبر 2009، في العاصمة أربيل، لكن يبدو ان العصابة في حالة توسع في مجال تجنيد أعضائها، إذ بلغ عدد الإرهابيين هذه المرة ستة مسلحين بالمسدسات وقضبان معدنية. وبالتأكيد كانوا يستخدمون على الأقل سيارتين مع حراس، وقام بالضرب ستة منهم، بينما وقف آخرون أمام مدخل الكراج الذي أوقف فيها بروسكه سيارته.

وبعد أن شعر المارة قرب الكراج بما يحصل إتجه العديد منهم نحو مكان الإعتداء، لاذ الإرهابيون بالفرار مقلين سياراتهم، وقد حصل إنطباع بأن هؤلاء مدربون على مثل هذه الأعمال والإمكانات متوفرة للإفلات تماماً ودون عناء كبير. كما تولد إنطباع من أن العصابة لاتعاني من خوف إنكشاف أمرها. فمعروف انه كلما قلّ عدد الإرهابيين لتنفيذ مخطط إجرامي تكون مهمة التواري أسهل، وكلما كبر عددهم زادت مخاطر إنكشاف أمرهم، لكن هذه العصابة بوضوح لم يكن لديها قلق إنكشاف أمرها، وكأنها محصنة من الجهات العليا.

لكن هنالك نقطة جدية بالتناول، الا وهي: من هو [بروسكه] ؟ ولماذا أصبح هدفاً للملاحقة والإعتداء؟

ولكي أجيب على السؤال، لا بد من العودة الى التاريخ القريب.

بروسكه هو إبن أسعد، والده كان صديقاً لي، وهو إبن محمد آغا ميرگه سوري. وكان ملا مصطفى يناديه بـ (خال) وهو من أقربائه الحقيقيين من جهة الأم. وكان لمحمد آغا عشرة أولاد. ولعل أشهرهم في الوسط البارزاني هو [حسين] لاقى مصرعه صيف عام 1963 دفاعاً عن أراضي بارزان خلال الحملة البعثية الشرسة الأولى، ودفن في هضبة تكسوها الأشجار، أسفل بارزان ويرقد بمحاذاته [شيت سركيري الذي أصيب في نفس المعركة، ويحيط بموقع دفنهما جدار صخري، على يمين الطريق المؤدي الى بارزان، وكان شيخ بارزان يذكره دوماً بالتقدير والإعتراف ببطولته وإخلاصه دفاعاً عن بارزان. وعندما عرض والده محمد آغا ميرگه سوري رغبته على شيخ بارزان في بناء قبة على موقع الدفن، لم يوافق شيخ بارزان على الإقتراح حيث قال له: "الشهداء لا يحتاجون الى المظاهر" فبقى على تواضعه كما هو عليه الآن..

إبن آخر لمحمد آغا ميرگه سوري هو ربما الأكثر صيئاً خارج مناطق بارزان، إنه [فاخر ميرگه سوري] الذي برز نجمه خلال معارك هندرين الظاهرة، وتفجير أنابيب النفط في محافظة كركوك، عرف ببطل هندرين لدوره الشجاع وتخطيطه العسكري الدقيق. لكن لأسباب تتعلق بنفوذ العائلة وبالأخص نفوذ [فاخر ميرگه سوري] قام ملا مصطفى بلبادة العائلة، ففضى على محمد آغا ميرگه سوري وقد تجاوز السبعين عاماً وهو يقبع في السجن، كما قضى على ثمانية من أولاده ضمنهم فاخر ميرگه سوري، ودفنوا في قبر جماعي. ثم غادر ملا مصطفى نهائياً الى إيران معلناً نهاية الحركة الكوردية في آذار عام 1975. معظم أولاد محمد آغا كانوا متزوجين وقد أمست زوجاتهم أرامل وكان عليهم الإعتناء بأطفالهم لوحدهم وفي ظروف في غاية الصعوبة. كانت مأساة إنسانية لاتقل عن طبيعة المآسي التي سببها صدام حسين لآلاف العوائل في كردستان في عمليات قوش تبه، الأنفال والقصف الكيماوي لطبقة عام 1988.

وبعد إنتفاضة شعب كردستان عام [1991]، عادت قيادات الحزبين الحاكمين من المنفى الإيراني الى كردستان العراق، وحاولت قيادة حرك المتمثلة بشخص إبن ملا مصطفى، السيد مسعود، حيث هو الذي [بَلَّغ] منفذ عملية القتل "بأمر" إبادة عائلة محمد آغا في آذار عام 1975، إذا به بعد العودة من المنفى الإيراني يسعى التقرب من أولاد العائلة المنكوبة ويعبر عن شديد أسفه وندمه لمقتلهم. وأخذ يستخدم المال الذي كان يحصل عليه من كمارك إبراهيم الخليل ومما إستلمه من صدام حسين، لإغراء من تبقى من أحفاد محمد آغا ميرگه سوري. لإجراء مصالحة عشائرية كالتالي أجراها هو مع صدام حسين لإسدال الستار عن ضحايا قوش تبه من البارزانيين، وكان

الهدف من المصالحة مع من تبقى من أحفاد محمد آغا ميرگه سوري هو، الكف عن الكلام للجهات الأجنبية ومنظمات حقوق الإنسان عما ارتكب بحقهم من جرائم بشعة.

إنقسم الأحفاد الى قسمين، قبل البعض إغراءات المصالحة مع قاتل والدهم ورفض البعض الآخر العروض. وحاول السيد مسعود إستخدام الطرف الذي قبل المصالحة ضد الطرف الذي رفض العروض المالية والمناصب. والهدف كان إيجاد الخلافات وتعميقها بحيث يلتهمون ويتناحرون فيما بينهم.

بروسكه رفض الوقوع في الفخ المنصوب وبقي محتفظاً بشخصيته المتميزة، فهو رجل مسالم بالفطرة، خلق وشديد الإلتزام بمبادئ الصدق والإخلاص وأداء واجبه في العمل على أحسن وجه. كما إنه لم يخفي رفضه للفساد الإداري أينما وجد، سواء في السليمانية أو أربيل أو دهوك. كما إنتقد علناً عمليات التزوير الواسعة التي حصلت خلال الإنتخابات البرلمانية في الصيف الماضي في إقليم كردستان، وهذا ما ولد لدى مزوري الإنتخابات نقمة شديدة عليه.

إن أي مراقب محايد ومدرك لطبيعة الحكم الحالي لايسعه الى ان يعبر عن قلقه الشديد لعدم توقف هذا المنحى الخطير المتمثل في المخطط الإرهابي ضد العمل الصحفي المستقل وإرغامه على الصمت خلال وسائل الإغتيال كما حصل للصحفي [سوران حه مه] أو محاولة الإغتيال الفاشلة ضد محرر مجلة لثين [احمد ميره] والإعتداء مرتين على الصحفي المعروف [نه به ز گوران] وآخرون غيرهم. ثم يشمل الإعتداء [بروسكه] لكونه إنتقد التزوير الفاضح أثناء الإنتخابات البرلمانية الكردستانية من قبل الحزبين الحاكمين. يبدو ان معاناة [بروسكه] التاريخية وما تعرضت اليه عائلته من إبادة لم يكن كافياً للتشفي منهم، فأى نقد سلمي وديمقراطي للإنحرافات والفساد، يثير من جديد شهوة الإنتقام ويوقظ الوحش الكامن في أعماق السيد المُنتقم، فتأتمر العصا بأمرة السرية وتتطلق نحو الفريسة لإشباع سادية المُنتقم. هذا ما حصل في 2009/11/17 في العاصمة أربيل ضد بروسكه المعروف بطبعه المسالم، وأعاد الى ذاكرة الملايين تراجيديا إبادة العائلة عام 1975.

إن هذا يضع الحكومة الحالية الجديدة في تناقض واضح مع ماتدعيه من إحترام إرادة الشعب الكوردي والإلتزام بحرية التعبير، إن لم تقم بدورها في حماية المواطن الكوردي من تعسف جهات متنفذة في كردستان ووضع حدّ لهذه الأعمال الإرهابية الهادفة الى إذلال الكلمة الحرة في المجتمع. فنحن لم نسمع بتعرض حملة الأقلام الحزبية الى الضرب والتهديد والقتل، الإرهاب يشمل فقط أولئك الذين يريدون العيش أحراراً ويرفضون الإنخراط في سلك مرتزقة الإعلام الحزبي.

إنني على يقين من أن هذه الأعمال الإرهابية لن تتوقف مالم تجابه بحزم وتصميم من قبل غالبية شعب كردستان، وبالأخص من أعضاء البرلمان الحالي الملتمزين بتغيير صورة كردستان من وطن تخنق فيه الكلمة الحرة الى وطن ينعم بالديمقراطية وحرية التعبير كما تنص عليه المواثيق والمعاهدات الدولية والتي إعترفت بها الإدارة الكوردية.